Coptology
Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

لا تُطفِئُوا الرُّوحُ

للقديس مار فيلوكسينوس

ترجمة وتعليق

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

مقَـــــــــدِّمة

-١-

القديس مار فيلوكسينوس

(تنيح سنة ٥٢٣ م)

سيرة حياته:

القديس فيلوكسينوس أسقف منبج من مشاهير الآباء القديسين السريان الذين عاشوا وكتبوا في النصف الأخير من القرن الخامس وبداية السادس، وكـــان معاصـــراً للقديس يعقوب السروجي (٤٥١ - ٥٢١م).

وكان اسمه قبل أن يصير أسقفاً، «إكسنايا»، وهو مـــن الكلمـــة اليونانيـــة «كسينوس» ومعناها "غريب"، ولما صار أسقفاً سمي «فيلوكسينوس» ومعناها «محب الغريب».

مولده ونشأته:

ولد في قرية تحل في بيت جرمي بالمنطقة الفارسية بين دجلة والزاب الصغير فيما بين النهرين. ولم تُعرف سنة مولده على وجه التحقيق. إلا أن البعض يرجحون أن يكون مولده حوالي منتصف القرن الخامس. ولم نعرف اسمه في المعمودية، إلا أنه ذكر في خطاب له إلى الإمبراطور زينون أنه «تعمَّد حسب الشريعة التي أعطاها المسيح لتلاميذه، وأنه لبس المسيح الذي اعتمد باسمه واعتمد لموته». وفي صباه رحل به أهله إلى طور عبدين، وهناك دخل دير قرتمين. وفي هذا الدير درس مع أخيه (أدي) آداب اللغتين السريانية واليونانية. ودرس علم اللاهوت. ثم انتقل إلى مدرسة الرها. وأتم دراسته للعلوم الفلسفية واللاهوتية. وأكمل دراسة علم اللغتين السريانية واليونانية في دير تلعدا الكبير في إقليم أنطاكية. وترهَّب هناك وسيم قساً.

جهاده لأجل العقيدة:

خرج على تعاليم النساطرة التي كان يلقنه إياها أسقف الرها النسطوري، ورفض عقيدة أصحاب الطبيعتين، وكان متحمساً لعقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح. وخصص حياته للدفاع عنها ضد تعاليم النساطرة، وأصحاب مجمع خلقيدونية في ضواحي أنطاكية بسوريا، والجزء الشمالي مما بين النهرين (العراق)، على الرغم مما أصابه من الأذى على أيدي أعداء عقيدته.

وقد ظل فيلوكسينوس يجاهد بقية عمره لأجل سلامة الإيمان بتجسد المسيح. وبدأ بمهاجمة تعاليم النسطورية التي كان تقوم مدرسة الرها ببث تعاليمها، وكان لا يزال قساً فطرده قلنديون بطريرك أنطاكية، فلما عُزل قلنديون عن كرسيه سنة ٤٨٥، وصار بطرس القصار بطريركاً لأنطاكية رَسَمَ فيلوكسينوس أسقفاً على منبج سنة ٤٨٥ فواصل جهاده بلا كلل بالتعليم والكتابة لتوضيح الإيمان المستقيم، مع السعي لدى أباطرة القسطنطينية لمساندة أصحاب الطبيعة الواحدة فنجح في بعض المرات،

ولكنه تعرَّض لاضطهادات كثيرة من الأباطرة المقاومين للطبيعة الواحدة. ورأس مجمعاً في سنة ٥١٢ انتُخِب فيه القديس ساويرس بطريركاً لأنطاكية. ولكن الإمبراطور يوستين نفاه بعد ذلك كما نفى القديس ساويرس ويوحنا التلي ومارا الأمدي. ظل القديس فيلوكسيتوس عدة سنوات في المنفى (في فيليوبولس في تراقيا). وهناك كتب رسالته إلى رهبان دير سنون بالقرب من الرها سنة ٥٢٢ م يقول فيها: «إن كل ما تحملته من فلافيانوس وماقيدونيس أسقفي أنطاكية والقسطنطينية وما قاسيته قبلهما على يد قلنديون معروف يتحدث به الناس في كل مكان. وإني لألتزم الصمت عما لحقني أيام حرب الفرس بتأثير فلافيان وعلى ملأ من الأعيان، وعما أصابني في الرها وفي أفامية وفي أنطاكية عندما كنت في دير القديس مار بسوس، وفي أنطاكية نفسها، وكذلك في القسطنطينية التي شددت الرحال إليها في مناسبتين، هذه الأشياء وأشباهها أصابتني من النساطرة المهرطقين».

موته شهيد الإيمان:

ثم نُقِلَ من منفاه بعد ذلك إلى جنجرا في ولاية بافلاجونيا، حيث حُبِسَ في بيتٍ أُوقدت فيه النيران وسُدَّت عليه المنافذ، فاختنق في حجرته من كثرة الدخان ومات شهيد الإيمان، في ٥٢٣ م.

وتحتفل الكنيسة السريانية الأرثوذكسية شقيقة كنيستنا بعيد مار فيلوكسينوس أكثر من مرة في السنة. وأبرز أعياده يوم ١٨ فبراير، وله عيد آخر في أول أبريل، وآخر في ١٦ أغسطس، وآخر في ١٠ ديسمبر الذي يرجح أن يكون تاريخ نياحته.

ورغم أن الكنيسة القبطية والكنيسة الأثيوبية تعترفان بالقديس فيلوكسينوس كأب من آباء الأرثوذكسية، لكن مع الأسف لم يُذكر في السنكسار القبطي أو الأثيوبي.

كتاباته:

القديس فيلوكسينوس كاتب موهوب، غزير المادة في الإنتاج اللاهوتي والروحي، ويُعد في المرتبة الأولى من الكُتَّاب السريان. وقد عُرِفَ لفيلوكسينوس حوالي ٨٠ كتاباً قام بتأليفها تحت الأبواب التالية:

(١) ترجمة الكتاب المقدس إلى السريانية:

إن الكنيسة السريانية مدينة لفيلوكسينوس بأول ترجمة حرفية منقحة للأناجيل. فبدأ حوالي سنة ٥٠٥ م بمعاونة مساعده بوليكاربوس بترجمة الكتاب المقدس بعهديه ترجمة حرفية من اليونانية إلى السريانية، فأتماه في سنة ٥٠٨ م وهو ما يُعرف الآن بالترجمة الفيلوكسينية.

(٢) تفسير أناجيل متى ولوقا ويوحنا:

وكان لتفسيره هذا أثر واضح على تفاسير أصحاب الطبيعة الواحدة فيما بعد. وهذا التفسير بالسريانية وله ترجمة عربية، وترجمة أثيوبية. (مخطوطات لم تُنشر بعد).

(٣) كتابات لاهوتية:

له ٦ ميامر و ١٨ رسالة في اللاهوت: في التثليث والتوحيد – وتجسد الكلمة – والطبيعة الواحدة – رد على نسطور وعلى أوطاخي... قانون الإيمان... الخ.

(٤) كتب الليتورجيا والطقوس والصلوات:

موجودة في المخطوطات السريانية والأثيوبية. منها ثلاثة قداسات تُنسب إليه وصلوات قبل التناول وبعده. وطقس مختصر لعماد الأطفال المحتضرين. وله كتاب صلوات السواعي السبعة (مترجم في مخطوطات عربية وأثيوبية). وله صلوات شكر

مترجمة إلى الأثيوبية.

(٥) كتابات في النسك والفضيلة، ورسائل عديدة:

له ميامر عديدة في أسس الفضائل المسيحية، ورسائل كثيرة أيضاً. وقد ترجم الكثير من الميامر والرسائل قديماً في مخطوطات بالعربية. إحداها بدير السريان بوادي النطرون (تاريخها ١٤٩٣). وهي التي نشرها دير السريان سنة ١٩٥١ في كتاب «الآباء الحاذقون في العبادة» الجزء الأول.

وله كتاب عن الرهبنة تُرجم للعربية سنة ١٣٠٥. ورسالة في نُظِم الرهبنة، ورسالة عن السكون في الرهبنة.

«هذه المقدمة عن حياة القديس فيلوكسينوس وكتاباته مقتبسة من مقدمة المرحوم الدكتور مراد كامل، في كتاب الآباء الحاذقون في العبادة – الجزء الأول – الذي نشره دير السريان سنة ١٩٥١م».

-٢-

الأهمية الروحية والعقائدية للمقالة

أولاً: تُعد مقالة القديس فيلوكسينوس هذه أطول نص عند آباء الكنيسة الجامعة يشرح عدم مفارقة الروح القدس للنفس والجسد، ومن المقالة نفسها نعلم أن الموضوع أُثير بطريقةٍ لا تخلو من الذكاء، فلقد تضمَّن السؤال عدة نقاط في غاية الحساسية، وهي:

١- أين يكون الروح القدس، روح القداسة عندما تخطئ النفس؟

٢- لماذا لا يتدخل ويمنع الإنسان من الخطأ؟

٣- ماذا يفعل الروح القدس بعد أن يسقط الإنسان؟

ومما لا شك فيه أن إجابة فيلوكسينوس كانت أكثر ذكاءً وحكمةً من الذين أشاعوا هذه البلبلة في الكنيسة في القرن الخامس، وقد ركَّز القديس فيلوكسينوس إجابته وحصرها في نقاط لا تقبل الجدل، ولا يملك الخصم أن يرد عليها، وهي:

(أ) لو كان الروح القدس يُفارِق النفس عندما تخطئ، فكيف تتوب النفس؟

(ب) لو كان الروح القدس يعود للنفس عندما تتوب، ألا يشبه الروح القدس بذلك، شخصاً خائفاً جباناً، أو طبيباً فاشلاً يترك المريض في ساعة المرض ويعود إليه بعد الشفاء؟

(ج) لو كان الروح القدس يترك النفس في حالة الخطية ويعود إليها بعد التوبة، فما هو مصير نعمة البنوة التي نالها الإنسان في المعمودية، وكيف يستطيع الإنسان أن يصلي قائلاً: «أبانا الذي في السموات»؟ فالروح القدس وحده هو الذي يؤهِّله لأن يصلي الصلاة الربانية، لاسيما في القداس وقبل التناول.

وبالطبع، تبقى نقطة حرية الإرادة، ونقطة أخرى متصلة بها، وهي قداسة الروح القدس نفسه، والتي لا تتدنس بخطية الإنسان.

وبخصوص حرية الإرادة، يقارن فيلوكسينوس بين عمل الشيطان وعمل الله، ويؤكد حرية الإرادة الإنسانية في حالتي الشر والخير. فكما أن الشيطان لا يملك أن يقهر إرادة الإنسان ويرغمه على السقوط، كذلك فإن الروح القدس لا يقهر إرادة الإنسان ويرغمه على القداسة، ولكن يجب أن ننتبه إلى نقطة أساسية تمثل جزءاً هاماً في تراث الروحانية الشرقية، تعرَّض لها فيلوكسينوس في إيجازٍ شديد، وهي أن الروح القدس لا يقف موقف المتفرج في صراع النفس ضد الخطية، وإنما يقوم بعملين أساسيين هما:

١- يحثُّ ٢- يحذِّر

وهنا يصبح من الواضح أن ما يفعله الروح مرتبطٌ بشكل كبير بحرية الإرادة الإنسانية. ولكن ينبغي أن نفهم أن الحَثَّ والتحذير اللذان يقوم بهما الروح القدس هما عملٌ دائمٌ لا ينقطع ولا يفقده الإنسان المؤمن إلا إذا استسلم تماماً لقوة الخطية، ووصل إلى أقصى حالات الضعف الروحي والموت والتي قال عنها الرسول بولس: «لا تطفئوا الروح».

ثانياً: استخدم القديس فيلوكسينوس أسلوباً رعائياً واضحاً وسهلاً في الرد على السؤال. و لم يقف طويلاً عند النقاط التي أثارها صاحب السؤال، وإنما دخل في الموضوع بشكل مباشر لكي يقضي على الأخطار الناجمة عن انتشار تعليم يصيب

الحياة الروحية المسيحية بانهيارٍ شديد. ولذلك استخدم الممارسة الطقسية للصلاة الربانية بشكلٍ خاص، وهي ممارسة واضحة ومعروفة، تقضي على الشكوك قضاءً تاماً.

ولكنه عرَّجَ على موضوع قيامة الجسد باعتباره النتيجة النهائية التي تؤدي إليها المعمودية والإفخارستيا. ولفت نظر القارئ إلى أن رطوبة الماء ودهن الزيت لا يظلان ظاهرين في الجسد، وإنما الذي يبقى هو العمل الإلهي للمعمودية، فهي التي تؤهِّل الإنسان للقيامة من بين الأموات. و لم يدخل فيلوكسينوس في تفاصيل جسد القيامة، وإنما اكتفى بالإشارة إلى الممارسة الكنسية التي يعرفها كل الشعب، وهي تكريم عظام القديسين والتبرُّك بها، وحدوث معجزات شفاء وطرد أرواح نجسة بواسطتها.

وهذا برهانٌ رعائي يؤكد أن عظام القديسين تستطيع أن تقوم بكل هذه الأعمال؛ لأن الروح القدس لم يفارِق أجساد المؤمنين، وإنما لا يزال ساكناً في هذه الأجساد وحتى بعد موتهم، وأنه سوف يقيمها ثانيةً لتكون على صورة جسد مجد المسيح.

وأخيراً: نقول إن مقال فيلوكسينوس سهلٌ وجيد، ويجب أن يحتل مكانه في فكرنا اللاهوتي، نظراً لوضوحه وسهولته وأهمية الموضوع الذي يعالجه.

هذا، وقد قام بترجمة هذا الميمر من السريانية إلى العربية الأستاذ الدكتور سبستيان بروك Dr. Sebastian Brok أستاذ اللغات السامية والسريانية بجامعة أكسفورد. وكان لي شرف مساعدته في الترجمة. أمَّا النص الأصلي الذي تمت الترجمة عنه، فهو منشور في مجلة Le Museon 1960، التي تنشرها جامعة لوفان ببلجيكا. والنص باللغة السريانية وأمامه الترجمة الفرنسية. كما اشترك في مراجعة هذه الترجمة العربية للنص السرياني، على الترجمة الفرنسية الدكتور وليم سليمان قلادة.

فليعوض الرب كل مَن تعب في ترجمة ومراجعة ونشر هذا الميمر بفيض

بركات الروح القدس. ولإلهنا الثالوث القدوس الآب والابن والروح القـــدس كـــل سجود وتسبيح وتمجيد الآن وإلى الأبد. آمين.

د. چورچ حبيب بباوي

مايو سنة ١٩٨١. مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني.

لا تطفئوا الروح

ميمر لمار فيلوكسينوس – هو إجابة على من سأله عما إذا كان الروح القدس يفارق المؤمن إذا أخطأ، ثم يعود مرةً ثانيةً حين يتوب.

علينا أن نجيب مَن يسألنا هذا السؤال غير متَّكلين على رأينا، بل على تعليم الكتب المقدسة. ففيها سنجد حلاً لكل مشكلة تواجهنا مادام لنا الإيمان الحقيقي. لكن علينا ألا يسأل الواحد منا الآخر أيَّ نوعٍ من الأسئلة، بل فقط الأسئلة النافعة. فما هو قصد ذلك التلميذ الذي يسأل هذا السؤال: «**هل يُفارِق الروح القدس الإنسانَ ساعة الخطية، ويعود إليه في التوبة**»؟

القصدُ من السؤال:

أليس قصده أن يعرف كيف يكره الإنسان الخطية، وكيف يتحول سريعاً عن خطيته، ويعود إلى التوبة إن أخطأ؟ كم هي كثيرة ودقيقة تلك الأسئلة التي تبحث في كيف لا نخطئ! كما أن ثمة فخاخاً عديدة وخادعة يضعها الشيطان الذي يتسبب في سقوطنا. فأولاً هو يريد أن يقتنصنا في شباكه، وعندما يتم له هذا يخترع الكثير من الوسائل لكي يمنعنا عن أن نهرب من قيوده. وكما أن فكرة اقتناصنا، وكذلك عجزنا عن الفكاك إذا أمسك بنا، هما من إيحاء العدو، هكذا، فإن فكرة الامتناع عن ارتكاب

الخطية، والدعوة إلى العودة للتوبة – هاتان الفكرتان هما من أعمال النعمة.

ولسوف نعطي كلمات موجزة بصدد هذا السؤال عما إذا كان الروح القدس يفارقنا أم لا يفارقنا في الساعة التي نخطئ فيها، وذلك من أجل منفعة الذين يناقشون هذه النقطة، وللآخرين الذين يحتاجون لأن يفهموا هذه المسألة.

الجواب:

لم يكن القصد من اقتبالنا الروح القدس، في مياه المعمودية بمحبة الله، أن يبقى معنا فتراتٍ معينةٍ فقط، ولكننا نلناه كي نصبح هيكلاً له يسكن فينا على الدوام، حسبما قال بولس: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣: ١٦)(١). وأيضاً: «ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي قبلتموه من الله وإنكم لستم لأنفسكم لأنكم اشتُريتم بثمن، ولذلك مجِّدوا الله في أجسادكم، وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٦: ١٩ – ٢٠). أنتم إذن هياكل الله، ومساكن له بسبب الروح القدس الذي يسكن فينا. **لا توجد خطية، سواء بالفعل أم بالفكر تقدر على أن تدمِّر هيكل الله.** على أن ثمة فارقاً بين الخطايا التي تُرتكب بالفعل، وبين الارتداد عن الله. وذلك أنه **إذا فعلنا خطية، فإن إيماننا بالله، يظل سليماً، فلا نفقد بنوتنا لله مثل الابن حسب الطبيعة، الذي مهما أخطأ في حق والده وأغضبه كثيراً، فإن هذا لا يحرمه من أن يُدعى ابناً. ومهما أخطأ الابن وارتكب من هفواتٍ، فإن ذلك لا يفقده كرامته كابن، لاسيما إذا كان أبوه لا يهدف إلى حرمانه منها.** وهذا ما حدث مع الابن الأصغر الذي أخذ ميراثه وأنفق ثروة أبيه على الزانيات (لو ١٥: ١١)، ورغم هذا لم يفقد لقب الابن الذي يخصه. فرغم أنه كان في أرض المجاعة بعيداً ورفض أباه، إلا أنه تذكَّر «كم من أجير في بيت أبي يفضُلُ عنه الخبز بينما أنا أهلك جوعاً» (لو ١٥: ١٧). **ومع أنه كان لا يزال خاطئاً**، بل وأخطأ

(١) ملحوظة: آيات الإنجيل بالمقالة بحسب الترجمة السريانية.

بهذا القدر العظيم حتى أنه بدد ميراثه الذي أخذه من أبيه في أعمالٍ سيئة، **إلا أنه ظل يدعو الله «أباه». وهذا يوضِّح أن نعمة الروح التي أعطته السلطان أن يدعو الله «أباً»، لم تفارقه.**

روح التبني:

حقاً أننا لا نقدر أن نستخدم هذه الكلمات، وأن ندعو الله أباً لنا إلا بسلطان الروح القدس الذي فينا. ذلك أنه من الواضح أن الذين لم يصبحوا بعد أولاداً لله بواسطة الميلاد الجديد في المعمودية، لا يملكون حق استعمال هذه الكلمة، ولا يقدرون على أن يقولوا: «أبانا الذي في السموات فليتقدس اسمك». والسبب الواضح هو أن الروح القدس الذي يعطي هذا السلطان ليس فيهم. وعلى العكس من ذلك، فإن المعمَّدين -كما نعلم- حين يقتربون من الأسرار المقدسة يصلُّون هذه الصلاة بثقة حسب التقليد الذي سُلِّمَ إلينا من الرب. وبعد ذلك يقتربون من الأسرار المقدسة[١].

ومع ذلك، فنحن نعلم أننا جميعاً أخطأنا بشكلٍ ما: سواء كانت خطايا كثيرة أم قليلة، بالفكر وبالفعل. ولا يوجد بيننا مَن هو ليس مداناً بالخطية. فإذا كنا جميعاً مذنبين، فهل الروح القدس فارقنا جميعاً؟ وكيف نجرؤ أن نصرخ ونقول: «أبانا الذي في السموات» عندما نقترب من الأسرار المقدسة؟ وإذا كان الروح قد فارقنا بسبب خطيتنا، فبأي سلطانٍ ندعوا الله «أبانا»؟ وإذا دعوناه وقلنا: «يا أبانا» دون أن يكون الله فينا كي يعطينا ذلك السلطان، فإنها لجريمةٌ كبرى وتمردٌ ضد الله. ونصبح مماثلين

---

(١) حسب الترتيب الكنسي القديم كانت الصلاة الربانية تسلَّم للموعوظ الذي يُعد للمعمودية في الأسبوع الأخير من الصوم الكبير، أي أسبوع الآلام. وتشير المصادر الآبائية القديمة إلى أن الصلاة الربانية وقانون الإيمان، كان يلقنان يوم خميس العهد. ولم تكن الكنيسة تسمح للموعوظين باستخدام الصلاة الربانية إلا بعد المعمودية، فهي صلاة خاصة بالمؤمنين فقط. وهذا ما يجعل القديس فيلوكسينوس يشير بشكل واضح إلى استخدامها في القداسات مؤكداً على أنها دليل ثبات المؤمنين في البنوة. (راجع يوحنا ذهبي الفم عظة ١٩: ٢٠، ثيئودور تعليم الأسرار عظة ٥: ٢٨ وكيرلس الأورشليمي عظة ٢٣: ١١ تعليم الموعوظين).

لأولئك الذين بنوا البرج (في بابل) كي يصعدوا إلى السماء، ونشابه أيضاً ذاك الذي تجاسر وحسب نفسه إلهاً وأراد أن يخطف لنفسه الكرامة التي لم تُعطَ له، والذي لهذا السبب فَقَدَ الكرامة التي كانت له (أي إبليس).

وحتى المؤمنين الذين في وقت الأسرار يدعون الله أباً، لا يعملون ذلك من ذواتهم، ولكن الكاهن الذي يتقدم الجماعة هو الذي يسمح لهم بأن يقولوا: «يا أبانا». بل إن الكاهن نفسه ليس له السلطان لأنْ يدعو الله «أباً»، ولا أن يسمح للآخرين بذلك إذا كان صحيحاً أن الروح القدس يفارِق كل الذين يخطئون.

الكهنة والشعب جميعاً خطاة، يحتاجون التطهير:

لأننا جميعاً كهنة وشعباً، لا نستطيع أن نعتبر أنفسنا بدون خطية، طالما أن ما يقوله الرسول حقيقي: «لأنه يوجد رئيس كهنة واحد، يسوع المسيح بلا شر ولا دنس وممجد أعلى من السموات» (عب ٧: ٢٦). ويقول أيضاً: «كل رئيس كهنة يُقام ليقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب» (عب ٧: ٢٧)، فمن الواضح أن الكاهن مدانٌ بالخطية، ولذلك يحتاج إلى المغفرة بواسطة التقدمات. وكما في ناموس موسى القديم، كل كاهن يقدم ذبائح لله، كان يقدمها أولاً عن نفسه، ثم بعد ذلك عن الشعب، هكذا في تدبير العهد الجديد، من المعروف أن الكهنة جميعاً يقدمون «الذبيحة العقلية» لله عن أنفسهم أولاً، ثم عن الشعب طالبين بالصلاة غفران خطاياهم الخاصة، وتطهير أنفسهم وأجسادهم من الأفكار الدنسة والأفعال الشريرة[١]. وكل كاهن منهم يقدم هذه الصلوات حسب نقاوة نفسه، **وبعد أن**

---

(١) تعد الصلوات السرية في بداية القداسات الشرقية عامة والقداسات القبطية خاصة من أهم الصلوات التي تؤكد على الإعلان عن عمل المسيح في الإفخارستيا: «أُكمِّل خدمتك المقدسة» (صلاة الاستعداد – القداس الباسيلي)، فالمسيح هو الكاهن الحقيقي الذي يعطي كهنوته للكهنة الذين يخدمونه، ولكن لأنه هو المعطي لهذه العطية، لذلك يؤكد الكاهن أكثر من مرة في القداس: «اعط يا رب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطاياي وعن جهالات شعبك»، والتأكيد هنا ليس فقط على حاجة الكاهن للأسرار كما شرح القديس فيلوكسينوس، وإنما أيضاً على حضور المسيح وعمله الواضح الخاص.

يكمِّل الذبيحة الإلهية، ويتمم السرائر بحلول الروح القدس لا يوزِّع الإفخارستيا للآخرين قبل أن يأخذ هو منها أولاً؛ لأنه يحتاج إليها، وبهذا يعترف أمام الكنيسة كلها أنه يتناول أولاً من الإفخارستيا لكي يتطهَّر بها، ثم بعد ذلك يوزِّع على غيره. وهكذا تكمُل حقاً الكلمة أنه يقدم الذبيحة أولاً عن نفسه، ثم بعد ذلك عن الشعب. لأنه إذا لم يكن قد قدَّم الذبيحة أولاً عن نفسه، فما كان ليتقرب أولاً من الإفخارستيا. وهكذا تصبح تقدمته شهادةً على أنه خاطئ، لأنه كخاطئ، يتناول الأسرار كي يتطهر بها ثم يوزِّعها على كل مَن هو في مثل حالته. ولهذا السبب، فإنه عندما يوزِّع الأسرار على المتناولين يقول: «جسد الله يُعطى لمغفرة الخطايا. ودم ابن الله لتطهير الذنوب». مستعيداً بذلك ما قاله ربنا لتلاميذه عندما كان يوزِّع عليهم هذه السرائر: «هذا هو جسدي الذي يُكسر عنكم لمغفرة الخطايا، وهذا هو دمي الذي يُسفك عنكم لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ١٦ وما يقابلها). هكذا، عندما نقترب من السرائر، أي من مخلصنا، فإننا نتقرَّبُ كخطاةٍ.

الدواء لأجل المرض:

وفي الحقيقة، فإن الدواء لا يكون مطلوباً إلا من أجل المرضى، ولا يطلب الشفاءَ إلا المريض: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» (مت ٩: ١٢). وهكذا يتضح أن جميع مَن يقتربون من السرائر المقدسة، فإنما يحصلون عليها من أجل مغفرة خطاياهم – الكاهن والشعب.

وإذا كان الروح القدس قد فارقنا لأننا خطاة، فبأي سلطانٍ يستدعي الكاهن الروح (في القداس)، وبأي سلطانٍ يقترب الشعب من السرائر؟

الروح القدس هو معموديتنا:

أضِف إلى ذلك أنه إذا لم يكن الروح القدس فينا، فحينئذ تبطل معموديتنا

أيضاً. وبالتالي كيف نقترب من الإفخارستيا إذا كنا قد فقدنا المعمودية. **ويصبح من الواضح أنه إذا كان الروح القدس يفارقنا عندما نخطئ، فإننا نفقد معموديتنا أيضاً. لأن معموديتنا هي –في الحقيقة– الروح القدس**، كما قال ربنا لتلاميذه: «يوحنا عمَّد بالماء أما أنتم فستعمَّدون بالروح القدس. ليس بعد هذه الأيام بكثير» (أع ١: ٥، ١١، ١٦). وكان يقصد الروح القدس الذي نزل على التلاميذ في العلية في شكل ألسنةٍ نارية.

الروح القدس يظل فينا حتى بعد الموت:

وهكذا الأمر بالنسبة لنا وبالنسبة لمعموديتنا، فلا رطوبة الماء الذي فيه صار عمادنا، ولا آثار دهن الزيت الذي مُسحنا به، تبقى بعد موتنا، **ولكن الروح القدس، الذي سكن في نفوسنا وأجسادنا عن طريق الماء والزيت، هو وحده يظل فينا في هذه الحياة، بل وبعد موتنا أيضاً؛ لأنه هو معموديتنا الحقيقية.**

ولذلك نظل دائماً معمَّدين لأن الروح القدس فينا على الدوام.

الروح يعمل فينا للتوبة:

قد يقال إن الروح القدس يفارقنا بسبب بعض الخطايا، وعندما نتوب عنها يعود إلينا.

ما هذا الكلام؟ **فإنه إذا فارقنا الروح، فمَن الذي يعمل فينا لكي نتوب عن خطايانا؟** فإن التوبة لا تحدث بدون الروح القدس، وبكل ما تفعله قوة الروح القدس في الصوم والسهر والصلاة والصدقة وتوبيخ القلب والدموع التائبة والتنهد. كل هذه هي نتيجة عمل الروح القدس، تماماً كما قال بولس: «إننا لا نعرف كيف يجب أن نصلي، ولكن روح الله هو الذي يصلي فينا بأنَّاتٍ لا ينطق بها، والذي يفحص القلوب يعرف ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين» (رو ٨: ٢٦

و ٢٧). وهكذا ترون أن كل ما يدفعنا إلى التوبة هو نتيجة فاعلية الروح القدس.

كما أن الصلاة الطاهرة أيضاً، وهي ذروة كل هذه البركات، تحدث فينا بفاعلية الروح القدس. وهو أيضاً الذي يحركنا للندم في داخل قلوبنا عندما نتذكر خطايانا.

فإذا كان الروح القدس يفارِقنا في الساعة التي نخطئ فيها، فمَن الذي يولِّد هذه المشاعر فينا؟ ربما ستقول إرادتي. ولكن مَن الذي يحرك إرادتنا نحو الصلاح؟ ومَن الذي يساعدها لفعل هذا الصلاح؟ أليس هو الروح القدس؟

الروح القدس والإرادة:

ألم تسمع ما يقوله بولس: «الله هو الذي يحرك فيكم الإرادة، وأيضاً تنفيذ ما تريدونه» (في ٢: ١٣). وهكذا ترون أنه هو الذي يحرك إرادتنا للصلاح، وهو الذي يتمم تنفيذ كل ما نريد أيضاً.

وربما تعترض قائلاً: إنه في هذه الحالة لا توجد إرادة حرة. ولكني أقول إنه بكل تأكيد توجد إرادة حرة، **لأننا نحن على صورة الله بوجود الإرادة الحرة فينا**. والروح لا يعمل بالإجبار. فلست أقول إن الروح القدس يُرغِم الإرادة على أن تفعل الصلاح، بل إنه يحضُّها ويستميلها فقط.

الروح القدس يحثُّ ويحذِّر:

وربما يسأل البعض: أين يكون الروح عندما يخطئ الشخص الذي سبق أن حلَّ عليه الروح؟. هنا يمكنك أن تفهم ما سبق أن قلته من أن الروح لا يُرغم النفسَ على عمل الصلاح، ولا يمنعها من ارتكاب الشر. **ولكنه يمنح أمرين للإرادة: أولاً: أن يحث، وثانياً: أن يحذِّر**. وفي الحقيقة كما أن الشيطان لا يقودنا بالقوة إلى الشر،

فإن روح الله أيضاً لا يدفعنا إلى الصلاح مرغِماً إيانا عليه. بل في حالة الشر كما في حالة الصلاح، يحاول كل واحد منهما أن يحثنا ويجتذبنا إلى اتجاهه. **وهكذا، فإن نعمة الروح القدس التي قبلناها في مياه المعمودية، تظل فينا عندما نخطئ. ومهما كثرت خطايا المعمَّد، فإنه يظل دائماً معمَّداً، والروح لا يمنع إرادتنا بالقوة الجبرية من ارتكاب الخطية، بل يحذِّرنا ويوبخنا في الخفاء عندما يرى أننا نميل إلى الخطية.** فإذا عَرِفَ العقلُ كيف يقبل هذا التوبيخ، وإذا قَبِلَ ضميرُنا تأنيبه، فإن الإنسان يمتنع عن الخطية. **وعلى الفور يظهر الروح القدس في الضمير مع نوره، ويملأه من الفرح والتهليل.** وهذا ما يحدث عادةً لمن يغلبون الخطية في جهادهم ضدها. **ولكن إذا لم يُطِع الضميرُ، الروحَ الساكن فيه وأكمل الخطية بالفعل، فعلى الفور تظلِّمُ النفسُ وينمو فيها القلق، وضباب الخوف، وتمتلئ النفس بالحزن والكآبة ويغطي العارُ النفسَ**، وكما هو مكتوب في كتاب الراعي لهرماس: «إن الروح القدس يحزن ويحوِّل وجهه عن النفس» (هرماس: التعليم ١٠)[١].

لا تحزِنوا الروح:

وهذا ما كان يفكِّر فيه الرسول بولس عندما قال: «لا تحزنوا الروح القدس الذي به ختمتم استعداداً ليوم الفداء» (أف ٤: ٣٠). وبولس يعلمنا أمرين:

الأول: أن الروح القدس فينا،

والثاني: أنه لذلك يحزن بسبب خطايانا. وهذا واضحٌ من قوله: «لا تحزِنوا الروح» الذي هو -على الخصوص- فيكم.

وهكذا فإن الروح يسكن فينا، ويوبخنا كي لا نخطئ ولا نحزنه، كي لا تنطفئ

---

(١) انظر «راعي هرماس» في مجموعة «أقدم النصوص المسيحية» - (الكتاب الأول - تعليم - ١٠ صفحة ١٤٣ - ١٤٥. تعريب الأب جورج نصور - نشر رابطة الدراسات اللاهوتية للشرق الأوسط - ١٩٧٥ لبنان).

قوته الداخلية في نفوسنا كما يقول بولس في موضع آخر «لا تطفئوا الروح»[١] (١تس ٥: ١٩). أي لا تحزِنوه بالخطية لئلا ينطفئ نوره في نفوسكم.

وأيضاً، إذا اشتعل فيكم، يكون لنفوسكم النور الذي يضيئ في داخلها. لأن الروح هو الذي يعطي للنفس قوةً لا يُعبَّر عنها تجعلها قادرةً على أن تصارع الرؤساء والقوات، وتحارب الأرواح الشريرة التي تحت السماء، وترفض العالم كله مع كل ملذاته. (راجع أفسس ٦: ١١ – ١٢). كل هذا يتحقق بواسطة حرارة قوة الروح الذي فينا. وبولس الذي يعرف قوة عمل الروح، يعلِّمنا قائلاً: «كونوا حارين في الروح» (رو ١٢: ١١). وأيضاً: «الذين يقبلون أن ينقادوا بروح الله فأولئك هم أولاد الله» (رو ٨: ١٤).

الروح يسكن فينا دائماً:

وهكذا، فإن الروح يسكن دائماً فينا، أي في الذين اعتمدوا، إلا أنه لا يرغم بالقوة، أيَّ إنسان يريد أن يخطئ، بل يعلِّمه ويحذِّره من السقوط. **فالروح –على عكس ما يقوله الجهلاء– لا يفارق النفس في لحظة الخطية، ويعود إليها عندما تتوب، وإنما هو ساكنٌ فينا، ولكننا نحن الذين لا نطلبه.**

---

(١) "لا تحزنوا الروح" – "لا تطفئوا الروح": الشرح المستقر لهذه الآيات عند آباء الكنيسة هو أن حياة الخطية تزيل من النفس: ١– قوة الاستنارة لمعرفة الحق، ٢– قوة التمييز بين الخير والشر، ٣– ومحبة الأمور السماوية وكراهية الشر، ٤– الرغبة في الالتصاق بالله.

هذه هي نتائج البقاء في حياة عدم التوبة، وهي خطيرة جداً. وهي التي تجعل حضور الروح القدس في الإنسان المؤمن بلا فائدة، ليس لأنه غير حاضر ولكن لأن الإنسان لا يستفيد من حضوره، وتقطع الشركة التي بينه وبين الروح القدس، وهي حالة إحزان الروح القدس التي يمكن أن تؤدي إلى إطفاء الروح القدس. (تفسير ذهبي الفم – العظة ١١ على ١تس ٥: ١٩).

قداسة الروح لا يمسها دنس خطايانا:

قل لي ما هو السبب الذي يجعله يفارقنا عندما نخطئ؟

هل لأن خطايانا تضره؟ أو لأن قداسته قد مسَّها بعضُ الدنس؟ أم لأنه لا يعرف أن يمنع نفسه من أن تجرح بخطايانا عندما يكون فينا ونحن نخطئ؟

إذا صحَّ هذا فهو أيضاً ضعيفٌ، وخاضعٌ لجراحات الخطية، ولكن كما نعرف، فإن هذا ليس هو الحق بالمرة.

الروح القدس يختفي ويظهر:

بل الصحيح والحق، أنه يسكن في نفوسنا، وأحياناً يختفي فيها، وأحياناً يظهر لها. وحين يختفي فإنه لا ينسحب نهائياً، وعندما يظهر فهو لا يأتي من بعيد. وفي الحقيقة فإن النور الفطري كائنٌ في حدقة العين[1] حتى وإن كانت مغلقة. ومع ذلك فالعين لا تبصر لأن الجفن يغطيها، ولكن حين تنفتح العين، فإنها تبصر بذلك النور الذي فيها حين يتلاقى بالنور الخارجي.

الروح يسكن فينا كالنور في العين:

وعلى هذا المثال، فإن الروح يسكن في نفوسنا مثل النور في حدقة العين، وإذا غطَّاه الإهمالُ كحجاب يغطي حدقة العين، فإننا لا نرى الروح على الرغم من سكناه فينا. ولكن إذا خلعنا تكاسلنا من عقولنا، وركَّزنا إرادتنا النقية على النور الروحي

---

(١) كان يُعتقد في الطب القديم أن العين فيها شعاع من النور الداخلي يسقط على الأجسام الخارجية ويتصل بالنور الخارجي فيجعل العين قادرة على الرؤية، والقديس فيلوكسينوس يستخدم هذه القاعدة الطبية القديمة، لتوضيح عمل الروح القدس في النفس باعتبار تلك القاعدة من المعلومات الشائعة بين الناس في عصره.

الذي فينا، فعلى الفور يتصل النورُ بالنورِ مثل اتصال نور العين الفطري بنور الشمس. وباتصال الاثنين تتحقق الرؤية.

الروح ليس ضعيفاً ولا جباناً:

فليس صحيحاً القول بمفارقة الروح للنفس ساعة الخطية وعودته ساعة التوبة. واعتباره هكذا ضعيفاً ومتردداً وجباناً، يقف بعيداً يرقُبنا منتظراً أن نتوب عن خطايانا، ونعود إلى حالة التبرير كي يعود يسكن فينا. وبكل يقين، فما هي الفائدة التي ستعود عليَّ إذا عاد إليَّ وسكن فيَّ عندما أتبرر، في حين أنه في ساعة السقوط لم يقف إلى جواري لكي يمد لي يد المساعدة ويقيمني على قدمي؟

الروح طبيب النفس:

فكيف ومتى أنال معونته؟ وما قيمة ذلك الطبيب الذي يترك المريض في اللحظة التي يراه فينا يسقط فريسةً للمرض ويتخلى عنه، ثم يعود إليه عندما يُشفى وتعود إليه صحته؟ أليس عندما يكون الإنسان مريضاً يبقى الطبيب معه ويعتني به، وعندما يشفى يتركه ليذهب إلى مهمة أخرى؟

فإذا صحَّ ذلك الرأي الغبي بمفارقة الروح القدس للنفس، فإنه يكون ممكناً أن يحدث ذلك بالأولى في وقت الشفاء، وليس ساعة المرض. لأنه حسب شهادة الرب لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب. ولكن، لأجل ما ذكرناه، تحتاج النفسُ إلى الروح القدس سواء في المرض أو الصحة.

بالارتداد فقط يفقد الإنسان الروح:

إن مَن يلبس الروح في مياه المعمودية، إنما يلبسه ولا يخلعه إلا بالارتداد عن الإيمان. لأنه إذا كان بالإيمان يلبس الإنسانُ الروحَ، فبإنكار الإيمان يفارِق

الروحُ القدس النفسَ؛ لأن الإيمان والارتداد ضدان مثل النور والظلمة.

الروح القدس حياة النفس:

إن الروح القدس الذي أخذناه من الله هو **حياة النفس**[١]. لهذا السبب أُعطيَ للرسل ومنهم لنا جميعاً، بالنفخة. وصار بالنسبة للكل مثل النفس؛ لأننا قد لبسنا الروح لكي يصبح بالنسبة لنا مثل علاقة النفس بالجسد. والروح الذي أخذه آدم بالنفخة[٢] من الله كما هو مكتوب: «ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية»

---

(١) "الروح القدس حياة النفس": ليس هذا تعبيراً جديداً يقدمه القديس فيلوكسينوس، وإنما هو تعبيرٌ عام عند الآباء، وقد حشدوا له أكبر قدر من التشبيهات. فالروح القدس هو مياه الحياة التي تشرب منها النفس (كيرلس الأورشليمي – تعليم الموعوظين ١٦: ١٢ – ، أثناسيوس إلى سرابيون الرسالة الأولى ١: ٩). وهو مثل النار التي تقدس وتطهر النفس حتى أن عمل الروح القدس في النفس الإنسانية يشبَّه باتحاد النار بالحديد. فالروح هو النار في النفس الإنسانية (كيرلس الأورشليمي – موعوظين ١٧: ١٤ – القديس باسيليوس الكبير ضد أونوميوس ٢: ٣). والمقصود من هذا أن الروح القدس وحده هو الذي يجعل الإنسان ابناً لله، وبه وحده تستطيع النفس أن تنال البنوة (أثناسيوس إلى سرابيون رسالة ١: ١٦ – باسيليوس ضد أونوميوس ٤: ٣ – ديديموس الضرير كتاب الثالوث ٢: ١).

(٢) "النفخة" (تك ٢: ٧): ما معنى أن الله نفخ في آدم نسمة حياة فصار آدم نفساً حية؟ إن الكلام هنا ليس عن خلق النفس، وإنما عن هبة الحياة للإنسان. فالكتاب المقدس لا يذكر خلقاً ثنائياً للإنسان: أي خلق الجسد وبعد ذلك النفس، وإنما «جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض». فالإنسان كائن واحد جسد وروح بلا ثنائية أفلاطونية. ولذلك فسَّر الآباءُ النفسَ الحيةَ ليس على أنها خلق النفس، وإنما هي هبة الشركة في الله بالروح القدس. فالنفسُ خلقت مع الجسد منذ الدقيقة الأولى لتكوين الجسد، ولكن النفس لا تستطيع أن تكون على صورة الله بدون حلول الروح القدس في النفس. ولذلك علينا أن نفهم أن ما حدث في تك ٢: ٧ هو ما أعيد في يو ٢٠: ٢٢. «نفخ وقال اقبلوا الروح القدس». وهكذا يعبِّر القديس فيلوكسينوس عن التقليد الرسولي الذي أعلنه الآباء جميعاً بدون استثناء ونضع هنا بعض نصوص الآباء العظام:

– القديس كيرلس الأورشليمي: «أعطى شركة هذا الروح القدس للرسل كما هو مكتوب» ... نفخ ... وقال لهم «اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠: ٢٢). وهذه هي المرة الثانية التي ينفخ فيها على الإنسان لأن النفخة الأولى ضاعت بالخطية. (تعليم الموعوظين عظة ١٧: ١٢ عن الروح القدس).

– القديس باسيليوس الكبير: «وعندما قام الابن من الأموات لم يفارقه الروح القدس، لأنه عندما كان يجدد الإنسان، وبالنفخ على وجوه التلاميذ أعاد النعمة التي وُهِبَت بنسمة الله والتي أضاعها الإنسان، وإلا لماذا قال الرب اقبلوا الروح القدس".(كتاب الروح القدس فصل ١٧: ٣٩).

(تك ٢: ٧). وفي العهد الجديد أيضاً مكتوب: «نفخ يسوع في وجوه تلاميذه وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتموها عليه أمسكت» (يو ٢٠: ٢٢ – ٢٣)، فكيف يهرب الروح أمام الخطايا، وهو الذي قال عنه الرب إنه يغفر الخطايا؟ لذلك، ليس من الصواب أن نتكلم عن الروح كهاربٍ منَّا بسبب خطايانا، بل بالحري إن الخطية هي التي تهرب من حضور الروح. لأن الظلمة لا تدحر النور، وإنما النور هو الذي يشتت الظلمة. وهكذا ليس النور هو الذي يهرب أمام الخطية، وإنما الخطية هي التي تهرب من حضور الروح.

– القديس كيرلس الاسكندري: شرح هذا القديس هذه النفخة في أكثر من موضع من مؤلفاته الضخمة ولعل أهمها هو شرحه لإنجيل يوحنا على الآية (٢٠: ٢٢)، الذي نُشر باللغة العربية، إذ يقول: «الله الآب في البدء خلق العالم كله بكلمته وخلق الإنسان من العدم. لأن الله الآب بكلمته أخذ من تراب الأرض كما هو مكتوب – وخلق الإنسان كائناً حياً له نفسٌ عاقلة حسب إرادته وأناره بنصيب من روحه «ونفخ في أنفه نسمة الحياة» (تك ٢: ٧). ولكن عندما سقط الإنسان بعصيانه واستُعبد لقوة الموت وفَقَدَ كرامته القديمة، أعاده الله الآب وجدَّده إلى الحياة الجديدة بالابن كما كان في البدء، وكيف جدَده الابن؟ بموته بالجسد ذَبَحَ الموت، وأعاد الجنس البشري إلى عدم الفساد عندما قام من الموت لأجلنا. ولكي نعلم أنه هو هو الذي خلقنا في البدء وختمنا بالروح القدس، لذلك منح مخلِّصُنا الروحَ القدس بواسطة العلامة المنظورة: أي نفخته للرسل القديسين لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المجدَّدة. وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء، عندما يجدد الله الإنسان وهو ما يسجِّله يوحنا هنا. وكما خُلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، ويصبح على مثاله، فلا يوجد لدينا أدنى شك في أن الروح القدس يختم صورة المخلِّص على قلوب الذين يقبلون المخلص» (تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس – تعريب د. جورج حبيب بباوي صفحة ١١٢ – ١١٣). وقد شرح القديس كيرلس نفس النقطة في المواضع التالية من كتبه:

(1) Glaphyra in Genesim I. P. G. 69: 20.

(2) De Dogmatum Solutione, 2. Pusey, Vol 3,P 553.

(3) De Adoratione, 6, P. G. 68: 349.

(4) In Matthaeum, 24: 51, P. G. 72: 445.

(5) De Santa et consebstantiali Trinitate ,dial 6, P. G. 75: 1008.

الروح القدس والنفخة:

وهكذا، إذا كان الروح الذي هو حياة نفسنا، وهو لذلك أُعطيَ لنا بالنفخة مثل الحياة التي أُعطيت لآدم الأول بواسطة النفخة، فمن الواضح أنه إذا فارقنا، فإن نفوسنا تموت فوراً كما يموت الجسد فور خروج النفس التي تسكنه. وإذا مات الجسد بانفصال النفس عنه، فليس هناك حاجةٌ للدواء؛ لأنه يكون غير قابل للشفاء. فالعين لا يمكن أن تُشفى، ولا الرجل المكسورة تفيدها الجبيرة، ولا اليد العاجزة تتشدد قدرتها على الحركة، ويعجز أي عضو فيه عن نوال الشفاء، إذا أصابه جرحٌ؛ لأن الجسد قد حُرِمَ من الحياة التي تجعله قادراً على اقتبال الشفاء. هكذا يحدث للنفس إذا فارقها الروح القدس، إذ تصبح مثل الجثة الميتة غير قادرة على نوال الشفاء من أي خطية، حيث لا توجد في النفس قوة حياة الروح القدس. وكيف يمكن استخدام الأربطة والأدوية في شيء فَقَدَ قوة الحياة والحركة؟ هل رأيتم قط طبيباً يعالج جثةً ميِّتةً؟ أو يضع ضمادات على عضوٍ مقطوع ومفصول عن الجسد؟ كذلك النفسُ لا تكون لها فرصةً للشفاء، وتكون غير قادرةٍ على صُنع توبة عن خطاياها، إذا فارقتها حياة الروح القدس التي نالتها في المعمودية.

الإنسان الجديد:

قبل المعمودية نحن ندعى «الإنسان العتيق»، ولكن بعد المعمودية فنحن «الإنسان الجديد». فالروح القدس هو حياةٌ دائمةٌ للإنسان الجديد، ليس فقط في أثناء هذه الحياة الجسدية، ولكنه أيضاً يبقى فيه بعد الموت.

الروح القدس لا يفارقنا ولا بالموت:

وفي حالاتٍ خاصة لبعض القديسين، يقوم بعمل المعجزات، وذلك حتى بعد نياحتهم؛ لأن عظام الأبرار، أي الرسل والشهداء وكل القديسين، على الرغم من أن

الحياة الطبيعية ليست بعدُ فيهم بسبب الموت، فإن الروح القدس يظل في هذه العظام، وهو الذي يقوم بالمعجزات الباهرة فيهم. وحتى الأرواح الشريرة تصرخ بمرارة عندما يعاينون قوة الروح، كما أن الأمراض تُشفى. وفي القيامة عندما تعود النفوس إلى أجسادها، تجد الروح القدس فيها، فهو لا يفارق الأجساد بالمرة، ولا يفعل ذلك منذ الوقت الذي قبلوا فيه الروح في مياه المعمودية.

قيامتنا بقوة الروح القدس:

وعلاوةٌ على ذلك، فإن قيامنا من الأموات سوف تتم بقوة الروح القدس الذي فينا. ولأن الروح القدس في المؤمنين، فحتى عندما يموتون، فإن موتهم لا يُدعى «موتاً»، وإنما «راحةً»، حسبما يقول الرسول بولس: «يا إخوتي أريد أن تعلموا هذا كي لا تحزنوا من أجل الراقدين مثل باقي الناس الذين لا رجاء لهم» (١تس ٤: ١٣).

وحين يموت مؤمنٌ معمَّدٌ، حتى لو كان قد أخطأ خطايا عديدة بعد المعمودية، فإنه إذا مات في الإيمان، **فعندما تفارق نفسه جسده ويموت الموت الطبيعي، فإننا نحمل جسده إلى القبر ونعامله كحيٍّ نائم. والسبب في ذلك واضح، وهو أن الروح القدس الذي أخذه عندما وُلِدَ الولادة الثانية من رحِم المعمودية، لم يفارقه.** ولقد قال ربنا يسوع: «إن كان أحدٌ لا يولد مرةً ثانيةً من الماء والروح، فلا يقدر أن يدخل ملكوت السموات» (يو ٣: ٥).

الروح القدس والتناول من الأسرار:

كيف يمكن إذن لخاطئٍ أن يقترب لقبول الأسرار المقدسة، إذا لم يكن الروح القدس فيه؟ ذلك الروح وحده هو الذي يتيح له أن يقترب من الأسرار. وكما أن غير المعمَّد لا يستطيع أن يقترب من الأسرار، **فإن هناك رأياً فاسداً يمنع الخاطئ –بالمثل– من الأسرار على اعتبار أن الروح القدس قد فارقه.**

لماذا تأسست الأسرار:

فإذا كان الخاطئ يُمنع من الاقتراب من الأسرار، فلماذا تم تأسيس هذه الأسرار؟ وماذا تعني هذه الكلمات الإلهية: «هذا هو جسدي الذي يكسر لأجلكم لمغفرة الخطايا». وأيضاً «هذا هو دمي الذي يسفك لأجلكم لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ١٦ وما يقابلها، ١كو ١١: ٢٤)؟ وهل مسموح لغير المعمَّد أن يقترب من الأسرار؟ الجواب المؤكد لا... **فإذا كان الروح القدس يفارِق الإنسان في اللحظة التي يخطئ فيها، فإن معموديته تكون قد ضاعت أيضاً. وإذا ضاعت معموديته وصار غير معمِّدٍ، فهو غير مسموح له أن يقترب من الأسرار (الإفخارستيا). وإذا لم يقترب من الأسرار فكيف ينال الغفران من الله؟ وكيف تكون له توبة من الخطية إذا كان الروح القدس قد فارقه كما يزعمون؟**

مَن يأكل جسدي ويشرب دمي:

لقد فَنَّدَ ربنا يسوع هذا التعليم الفاسد بشكلٍ واضح عندما قال: «كل مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يكون فيَّ وأنا أكون فيه، وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤). ففي كل مرة يشترك التائب في جسد ربنا ودمه بالإيمان، فهو في الرب والرب فيه – حسب قول الرب نفسه، وحيثما يسكن الرب يسكن روحه القدوس أيضاً.

ولو أننا أخذنا الروح القدوس في مياه المعمودية بسبب برنا، لكان صحيحاً أن نقول إن روح القداسة يفارقنا بسبب خطايانا. ولكن، لأننا نلناه كعطية، فإن سكناه فينا وبقاءه فينا هو أيضاً عطية. وكما أنه بالإيمان وباقتبال الروح القدس في مياه المعمودية، ننال فوراً مغفرة الخطايا، ويبررنا بالتبني لله الآب، هكذا أيضاً الآن، فطالما نظل مؤمنين، يظل هو ساكناً فينا، ونحفظ أنفسنا بنعمته من الخطية. وإذا حدث وأخطأنا، فإننا سريعاً ما نعود إلى التوبة. وشكراً للروح الذي يقدم لنا عونه وقوته.

نعمة البنوة لا تزول:

إننا لم نأخذ نعمة يمكن أن تزول أو تتغير. فلقد نلنا نعمة البنوة التي لا يمكن أن تتغير حسب كلمات الرسول بولس: «إنكم لم تأخذوا روح العبودية للخوف، إنما أخذتم روح الأبناء الذي يصرخ أباً أيها الآب» (رو ٨: ١٥). وعندما نخاطب الله، نصرخ قائلين: «يا أبانا الذي في السموات» في وقت الأسرار المقدسة، فقد أُعطيَ ذلك لنا من الروح القدس. ففي الحقيقة إننا أخذنا روح البنوة الذي يصرخ «أباً أيها الآب» (رو ٨: ١٥). والروح هو الذي يمنحنا السلطان أن ندعو الله أباً لنا في تلك اللحظة.

نتناول لننال قوةً:

وكل الذين يصرخون في هذه اللحظة ويقولون: «يا أبانا الذي في السموات» وهم ينتظرون التناول من الأسرار جميعهم خطاة. **وبسبب الخطايا التي نقترفها بعد المعمودية نتناول دوماً من الأسرار لننال قوة. وعند التناول، فإننا نحن الخطاة، نخاطب الله «يا أبانا الذي في السموات»، ومن الواضح أن روحه الذي فينا هو الذي أعطانا السلطان أن نفعل ذلك.**

وهكذا، على كل وجهٍ، يتضح من كل ما ذكرنا أن روح الله لا يفارِق الذين اعتمدوا مهما أخطأوا، بل يبقى فيهم، حتى وهم يخطئون معلِناً عن عطيته الفائقة بالبقاء في الخطاة حتى ينالوا في النهاية ما أخذوه في البداية (أي التبني). وبذلك تتم كلمات الرسول: «لأننا لم نأخذ هذا نتيجة الأعمال لكي لا يفتخر أحد» (أف ٢: ٩).

الروح القدس فيك ولن يفارقك:

أقول هذا في كلماتٍ قليلة لكي أُفنِّد رأي الذين يفكرون في أمورٍ لا تتفق مع تدبير نعمة الروح القدس، هؤلاء الذين يعتبرونه ضعيفاً ولا يأتي لمعونتهم. **أما أنت يا تلميذ الحق فآمن بأن الروح القدس الذي أخذته في مياه المعمودية هو فيك ولن يفارقك إذا تذكرت حضوره فيك.**

وإذا تذكرت حضوره فيك سوف تشعر بما يعطيه لك من تحذير. فاهرب من كل أسباب الخطية كي لا تتغلغل فيك بالفكر، ثم تثمر الأفكار بالوقوع في الخطية. وإذا عَرَضَ لك أن غفلت، فانتبه فوراً. وإذا سقطت، فاسرع بالنهوض من سقطتك، وازجر مَن كان السبب في سقطتك موجِّهاً إليه كلمة النبي: «لينتهرك الرب. قريبٌ هو الرب الذي يخلص – أعني الروح القدس الذي أعطانيه الله ربي لي، مرةً وإلى الأبد لكي يحفظ حياتي».

له المجد مع الآب والابن،

الآن وإلى دهر الدهور.

آمين.